دلالة الأفعال الماضية المقترنة بألفاظ التضاد الحاد
في ضوء الاستعمال القرآني

The meaning of the past tense verbs associated with acute antonyms In light of Quranic usage

مهند فاضل علي
د. منى فاضل إسماعيل الحلاوجي
أستاذ مساعد
جامعة الموصل – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية

Mohanned Fadhl Ali
Dr. Muna F. Ismail Al-Halawachi
University of Mosul- collage of Education for Humanities Sciences- Department of Arabic language

alsyaf.1983@gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢٢/١٠/١٦
تاريخ القبول ٢٠٢٢/١١/١٣

الكلمات المفتاحية: الدلالة، الأفعال، الاقتران، التضاد، السياق

Keywords: context،atonymy, collocation, verbssemantics

الملخص

يهدف البحثُ إلى بيان دلالات الأفعال الماضية المقترنة بألفاظ التضاد الحاد في ضوء الاستعمال القرآني، ولتحقيقِ ذلك أخذ البحث على عاتقه بيان أثر السياق القرآني في توجيه معنى الفعل عند اقترانه بالثنائيات الضدية، ومدى اختلاف دلالاته بحسب النظم والمقام؛ لأنَّ وظيفة السياق هي الكشف عن المعنى في النص بمراعاة ما قبله وما بعده، فلا تُحمل الأفعال على معانيها المعجمية الحسية دائمًا، بل يكون لها عمق معنوي يتصل بالذهن، وقد تبنَّت الدراسة المفهوم الغربي للتضاد وهو وجود لفظين يختلفان نطقا ويتضادان معنى، مثل: الطويل، القصير.

Abstract

The research aims to clarify the semantics of the past verbs associated with the words of sharp contrast in the light of the Qur'anic usage. Because the function of the context is to reveal the meaning in the text by taking into account what is before and after it, the verbs are not always carried on their lexical, sensory meanings, but rather have a moral depth related to the mind. The study adopted the Western concept of antagonism, which is the presence of two words that differ in pronunciation and have opposite meanings, such as: long and short.

المقدمة

الحمدُ لله الذي أعزَّنا بالإسلام، وقوَّمنا بالقرآن، وهدانا بنبيّنا مُحَمَّد بنِ عبد الله (ﷺ)، والصَّلاة والسَّلامُ على سَيِّدِ الأنام وأفصح مَنْ نطق بلغة الضَّاد سيِّدنا مُحَمَّد بنِ عبد الله وعلى آله الطّيبين الطّاهرين، وصحبه الغُرِّ الميامين وَمَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يَومِ الحشرِ واليقين.

أمّا بَعْدُ:

فقد تناولَ البحثَ في القرآن الكريم العلماءُ قديمًا وحديثًا، فلم يُوفُوهُ حقّهُ، فهو كنزٌ زاخر بمختلف اللطائف، والبحث فيه قطرةٌ من بحر، واللاحق مستفيدٌ من السابق ومكملٌ لهٌ، فكان معجزة النبي (ﷺ) الكبرى الخالدة.

ويمثل اقتران الأفعال بألفاظ التضاد ظاهرة دلالية بارزة في القرآن الكريم، إذ يؤدي دورًا كبيرًا في تكثيف الدلالة وتوضيح المعاني، والكشف عن المعاني الدقيقة، وهو أيضا خصيصة من خصائص معاني الألفاظ في العربية، ومن هُنا جاء البحث موسومًا بـ "دلالة الأفعال الماضية المقترنة بألفاظ التضاد الحاد في ضوء الاستعمال القرآني"، وأخذ البحث بالمفهوم البلاغي (الطباق الإيجابي) للتضاد في هذه الدراسة، أي التعامل مع اللفظين اللذين يختلفان نطقا، ويتضادان في المعنى، كالقصير في مقابل الطويل، والجميل في مقابل القبيح، والذَّكَر مقابل الأنثى، أي دراسة الأضداد من زاوية أخرى تختلف عن نظرية اللغويين القدامى، فأسقط البحث المفهوم الشائع القديم الذي ينظر إلى اللفظ المستعمل في معنيين متضادين.

وتألف البحثُ من مقدمة ومطلبين وخاتمة، تضمن المطلب الأول التعريف بالمصطلحات الواردة فيه: (الدلالة والاقتران والتضاد) لغةً واصطلاحًا، واستكمالًا لفكرة التضاد تطرَّقَ البحثُ لبيان مفهومهِ لدى القدماء وبعض المحدثين الغربيين؛ ليكون لنا مُعينا في التوصل إلى مفهومنا الخاص للتضاد. واشتمل المطلب الثاني على الأفعال الماضية المقترنة بألفاظ التضاد الحاد في القرآن الكريم. والحمد لله تعالى الذي تتم بنعمته الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

المطلب الأول: ويشتمل على الدلالة والاقتران والتضاد في اللغة والاصطلاح:

أولا: الدلالة لغة واصطلاحا

شغل علم الدلالة فكر اللغويين منذ القدم، فعكفوا يبحثون في دلالة الألفاظ، إلى أن جاء علم الدلالة الحديث الذي بدوره فتح آفاقا واسعة لدراسة الكلمة من حيث ما تدلُّ عليه، إذ نشأ علم الدلالة كونه أحد العلوم اللغوية التي أخذت حيزا في علم اللغة، ولم يعد نظريا بل أصبح مقياسا موضوعيا لدراسة النصوص، بعيدا عن الأحكام الذاتية والتعميم، والتمويهات التي لا تستند إلى دليل، وما غاية الدراسات اللغوية والصوتية والصرفية والتركيبية (النحوية) إلا توضيح المغزى وإزالة الغموض[١]، فعلم الدلالة يعتني بدراسة المعنى، وقد بُدِءَ البحثُ عن المعنى بوجود التواصل اللغوي بين البشر، وأقدم الدراسات اللغوية والدلالية التي وصلت إلينا ترجع جذورها إلى الهنود واليونان والعرب.

والأصل في معنى الدلالة: الإرشادُ، والهدايةُ نَحوَ الشيءِ؛ من ذلك يُقال: دَلَّ يَدلُّ إذا هَدَى، ودَلَلْتُ بهذا الطَّريق دَلالةً، أَي: عرفتُه، ودللْتُ بِهِ أَدُلّ دَلالة[٢]، ومنهُ قولهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[الصف: ١٠]، فالمعنى اللغوي للدلالة يوحي بالإرشاد، والهداية، والتوجيه نحو الشيء.

أما "الدّلالة" في الاصطلاح، فقد حدَّها السيد الجرجاني (ت٨١٦هـ): بـ"كَوْن الشيء بحالةٍ يلزم من العلم بهِ، العلم بشيءٍ آخر، والشيء الأول: هو الدال، والثاني: هو المدلول"[٣]، أمّا مفهوم علم الدلالة عند المحدثين هو العلم الذي يبحث في معاني الكلمات وأجزاء الجمل، ويعدُّ هذا العلم فرعا من فروع اللغة[٤].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن دلالة لفظ "الدلالة" في الاصطلاح ترتبط بدلالتها في اللغة، إذ انتقلت اللفظة من معنى الدلالة على الطريق وهو معنى حسي إلى معنى الدلالة على معاني الألفاظ وهو معنى عقلي مجرد[٥].

---

(١) ينظر: علم الدلالة بين النَّظَرِ والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين: ٨١.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري: ٤٨/١٤، ومقاييس اللغة، ابن فارس: ٢٥٩/٢.

(٣) التعريفات: ١٣٩.

(٤) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس:٢٨.

(٥) ينظر: علم الدلالة "دراسة نظرية وتطبيقية"، فريد عوض حيدر: ١٢.

ثانيا: الاقتران لغة واصطلاحاً

الاقتران لغة مأخوذٌ من القَرَن، يقال: "قَرَنْتُ الشيء أقرنه قرناً، أي: شددته إلى شيء، والقَرَنُ: الحبل يقرن به، وهو القِران أيضًا"(١)، وللقافِ والراءِ والنونِ عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) أصلان صحيحان: الأول يدلُّ على جمعِ شيءٍ إلى شيءٍ، والآخَر: شيءٌ ينشأ بقوةٍ وشدةٍ(٢)، ويمكنُ ردهمَا إلى أصلٍ واحدٍ وهو جمع شيءٍ إلى شيءٍ سواء ماثله أو لم يماثلْه، سواء كان الجمع ماديا أو معنويا، فالمعنى المحوري لمادة "قرن" دائر على معنى الجمع والمصاحبة، والربط والازدواج والمشاركة بين شيئين أو أشياء، والاقتران في الاصطلاح اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني(٣).

ثالثا: التضاد لغة واصطلاحا

ذكر أهل اللغة أنَّ أصل مادة (ضدد) يدل على معنيين مختلفين:

الأول: الضِّدُّ (بكسر الضاد)، يدل على ضد الشيء، فيُقال: الليلُ ضِدُّ النهارِ، إذا جاء هذا ذهب ذاك، ويُقالُ أيضا: هذا ضدُّهُ وضديدهُ، ويُجمع على أضداد، وقد ضادَّهُ مُضَادَّةً، وهُما متضادَّانِ(٤).

الثاني: الضَّدّ (بفتح الضاد)، يدلُّ على مَلْءِ الشيء، يُقال: ضَدَّ القِرْبَة ضَدًّا، أي: مَلأهَا، ومن ذلك يُقال أيضا: ضَادَدَ وضَدَدَ، والضُّدُدُ: الذين يملِئونَ للناس الآنيّةَ إذا طلبوا الماء، واحدهم: ضَادّ(٥)، والمعنى الأول هو الأكثر استداما وشيوعا، وهو المقصود في هذه الدراسة.

فالضدية في اللغة عموما قائمة من جهة على الثنائية، ومن جهة أخرى على التقابل لاستحالة اجتماع طرفي هذه الثنائية، وأضاف الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) على شرطي الثنائية والتقابل شرطَ كونهما تحت جنس واحد إذ الضدان: هما الشيئان اللذان تحت جنس واحدٍ، وينافي كلُّ واحدٍ منهما الآخر في أوصافهِ الخاصة، وبينهما أبعد البعد كالسَّواد والبياض، والشَّر والخير، ومالم يكونا تحت جنس واحد لا يُقال لهما ضِدَّانِ(٦).

---

(١) العين، الفراهيدي: ١٤١/٥.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٧٦ ـ ٧٧.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٦٦٧.

(٤) ينظر: العين: ٦/٧، ومقاييس اللغة: ٣٦٠/٣.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة: ٣١٣/١١، ولسان العرب، ابن منظور: ٢٥٦٥/٤.

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني ٥٠٣.

مفهوم التضاد في الدراسات اللغوية القديمة

أما التضاد في الدراسات اللغوية القديمة فإن المصطلح المستعمل كثيرا ليدل على هذه الظاهرة اللغوية هو مصطلح (الأضداد)، وكان هذا المصطلح عنوانا لجميع المصنفات القديمة التي درست هذه الظاهرة اللغوية[١]، ويُقصد بهِ عند القدماء: أن يُطلق اللفظ على المعنى وضدهِ، ومن أمثلة التضاد بهذا المفهوم: دلالة "الجَوْن" على الأبيض والأسود، و"القُرء" للطُّهر والحيض، والنِّد: للمثل والضد، والزوج: للذكر والأنثى، والسليم: للَّديغ والسليم[٢].

فالأضداد في اللغة عند القدماء تعني "أنّ يُعبر اللفظ عن معنيين ضدين دلالة مستوية مع قرينة تحدد أيهما إرادة المتكلم"[٣]، فالأضداد من المشترك المعنوي الذي يكون فيه اللفظ ذا معنيين متضادين، كالجون يطلق على الأسود والأبيض. وهي التي قال عنها أبو بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ): ((وهذا الضرب من الألفاظ ـ يعني الأضداد والمشترك اللفظي ـ هو القليل الظريف في كلام العرب، وأكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين: أحدهما: أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين، كقولك: الرجل والمرأة، والجمل والناقة، واليوم والليلة، وقام وقعد، وتكلم وسكت، وهذا هو الكثير الذي لا يُحاط به))[٤].

وقد حدَّ أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) "الأضداد" بقوله: ((والأضداد جمع ضد، وضدُّ كل شيءٍ ما نافاه ، نحو: البياض والسَّواد، والسَّخاء والبُخل، والشجاعة والجُبن))[٥]، وعلى الرغم من أنَّ أبا الطيب اللغوي قد عرَّفَ الأضداد على نحو مفهوم المحدثين للتضاد، إلا أنه وكغيره من اللغويين القدماء لم يدرسوا الأضداد على ضوء هذا المفهوم، وإنما أشاروا إلى ذلك إشارات يسيرة جدا.

ونخلص إلى القول بأنَّ المصطلحين (الأضداد والتضاد) يعودان إلى جذر لغوي واحد (ض د د) إلا أنهما يمثلان ظاهرتين بينهما فروق كثيرة من حيث المفهوم، والمجال، والقيمة، والخصائص، والأقسام، والمساحة التداولية، وكل ماله بمساحات المعنى، نظرا لِمَا يتناولهُ كل مصطلح من مادة لغوية مختلفة عمَّا يتناوله الآخر.

---

(١) ينظر: التداخل الدلالي بين مصطلحات (التقابل) و(التضاد) و(الأضداد) في الدراسات اللغوية "دراسة دلالية وصفية"، ناصر بن عبد العزيز الهذيلي، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مج ١٥، ع ١١٠، سنة ٢٠١٨م: ٣٣٧.

(٢) ينظر: فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي: ٣٧١.

(٣) العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، دراسة تطبيقية، عبد الواحد حسن الشيخ: ٧٧.

(٤) الأضداد: ٦.

(٥) الأضداد في كلام العرب: ٣٣.

ـ مفهوم التضاد في الدراسات اللغوية الحديثة:

لم تتناول الدراسات اللغوية الحديثة ظاهرة (الأضداد) على نحو تناول الدراسات اللغوية القديمة، لا من حيث استعمال المصطلح، ولا من حيث المفهوم، فأما المصطلح المستعمل فإنَّ المصطلح المستعمل كثيرا في الدراسات اللغوية الحديثة هو (التضاد) ثمَّ صار ينازعهُ أو يرادفهُ في الدراسات المتأخرة مصطلح آخر هو (التقابل)، أما من حيث المفهوم فهو أن يدل لفظان مختلفان على معنيين متضادين، كلفظي الحي والميت، والصغير والكبير، وقد تناول اللغويون المحدثون من خلال دراسة وتحليل هذه الظاهرة أميز خصائص اللغة وأظهر جوانبها، وهي تلك الثنائيات المتضادة المعنى في اللغة، ولا شك أنَّ هذه المتضادات الثنائية هي التي تمثل الجانب الأعظم للألفاظ اللغوية المبنية على علاقة التضاد.

أما مفهوم التضاد (Atonymy) عند الغربيين فهو عبارة عن لفظين يختلفان نطقا ويتضادان في المعنى وهو شبيه بالطباق الإيجابي عند البلاغيين[١]، فإذا كان شيء ما (أ) فإنهُ ليس (ب) كما أنَّ (ب) ليست (أ) مثل: الضيق / الواسع، والضحك/ البكاء، أي: المقابلة بين لفظين.

ورأى **جون لاينز** أنَّ معنى الكلمة ما هي إلا محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في الحقل المعجمي نفسه، ومن الضروري بيان أنواع العلاقات داخل كل حقلٍ معجمي، ويُعدُّ التضاد من أكثر العلاقات الدلالية أهميّة ؛ إلا أنه لم يحظ بعناية الدلاليين؛ لاسيما أن اللغويين يرون أنه متمم للترادف وبالرغم من ذلك لم يأخذ حقه من الدراسة كالترادف[٢].

ويقوم التضاد الحاد على نفي أحد عضوي التقابل وإثبات الآخر، أي: أنهُ تضاد ثنائي لا يقبل خيارا ثالثا، كما لا يقبل التدريج، فلا نقول: أعزب جدا ولا ذكر جدا ولا ميت جدا، وهناك مَن يسميه بالتضاد التكاملي؛ لأنَّ الواحدة تعني نفي الأخرى، مثلا: أعزب تعني غير متزوج، ومتزوج تعني غير أعزب، وهو تضاد غير قابل للتدرج[٣].

ونخلص إلى القول بأنَّ المحدثين الغربيين درسوا الأضداد من زاوية أخرى تختلف عن نظرية اللغويين القدامى، فالأضداد عندهم هي كلمتان تختلفان نطقا، ويتضادان معنى،

---

(١) ينظر: علم الدالة، الدكتور أحمد مختار عمر: ١٩١.

(٢) ينظر: علم الدلالة : جون لاينز، ترجمة مجيد الماشطة وآخرون : ٩٥.

(٣) ينظر: علم الدلالة، جون لاينز: ٩٥، ومدخل إلى علم الدلالة، فرانك بالمر: ١٤٤، وعلم الدلالة، كلود جرمان، وريمون لوبلون، ترجمة: نور الهدى لوشن: ٦٦، وعلم الدلالة، الدكتور أحمد مختار عمر: ١٠٢، وعلم الدلالة، الدكتور محمد علي الخولي: ١١٦.

كالقصير في مقابل الطويل، والحسن في مقابل القبيح، والذَّكَر مقابل الأنثى[١]، فالتضاد بالمعنى الحديث هو الواقع بين ألفاظ المجال الدلالي.

المطلب الثاني: دلالة الأفعال المقترنة بألفاظ التضاد الحاد:

١ـ ورد الفعل الماضي (بعَثَ) مقترنا بلفظتي التضاد الحاد (مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[البقرة: ٢١٣].

تُبيِّنُ الآية الكريمة أنَّ الناس كانوا جماعة واحدة، متفقين على الإيمان بالله تعالى ثم اختلفوا في دينهم، فبعث الله تعالى النبيين دعاة لدين الله تعالى، مبشرين مَن أطاع الله بالجنة، ومحذرين مَن كفر به وعصاه من النار[٢].

والفعل الماضي (بَعَثَ) أصلهُ من (ب ع ث) وهو بمعنى الإرسالُ، من ذلك يُقالُ: بَعَثْتُ البعيرَ، بمعنى أرسلتُه وحللت عِقالُه، وبعثته من نومه فانبعث[٣]، من ذلك قول زهير بن أبي سُلمى[٤]:

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

والبعثُ أيضاً: الجند يُبعثونَ فِي الأَمرِ، ويُقال: انبعثَ القَوم في الخَيْر والشَّر انبعاثًا، وذلك إذا تتابعوا[٥]، وللباءِ والعيْنِ والثَّاءِ عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) أَصْلٌ واحِدٌ، وهو الإِثارَةُ، من ذلكَ يُقالُ: بَعَثْتُ النَّاقَةَ، إذا أَثَرْتَهَا[٦]، وكلّ شَيْء أثرتَه فقد بعثتَه[٧]، وثمة فرقٌ بين البعث والإرسال، وهو "أنه يجوز أَن يُبْعَث الرجل إِلَى الآخر، لحَاجَة تخصه دُونك، وَدون الْمَبْعُوث إِلَيْهِ، كَالصَّبِيِّ تبعثه إِلى المكتب؛ فَتَقول: بعثته، وَلا تَقول: أَرْسلتهُ؛ لأَن الإِرْسَال لا يكون إِلا

(١) ينظر: في علم الدلالة، الدكتور محمد سعد محمد: ١٥٢.
(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٢٧٥/٤.
(٣) ينظر: العين: ١١٢/٢.
(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٠٧.
(٥) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دُريد: ٢٦٠/١.
(٦) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٦٦/١.
(٧) ينظر: لسان العرب: ١١٧/٢.

برسالة وما يجْرِي مجْراهَا"[١]، فأصل (بَعَثَ) من إثارةِ الشيءِ وتوجيههِ، ويختلف البعثُ بحسب اختلاف ما علِّق به[٢].

والبشارة في اللغة: ما بُشِّرْتَ بهِ[٣]، وأصلها أنَّ بَشرَةَ الإنسانَ تنْبَسِطُ عِنْد السرُور[٤]، والبشارة أيضاً طلاقة الوجه وحُسن الهيأة [٥]، والمنذِرُ في اللغة من الفعل نَذرَ بالشيْءِ نَذْرًا، إذا عَلِمه فحَذرَه، وأَنْذَرْتُه بالأَمْرِ إِنْذارًا، ويُقالُ: أنذرهُ، أي: خَوّفَه وحَذَّرَه[٦].

وقوله تعالى: (فبعث) معطوف على محذوف، أي: فاختلفوا فبعث، و(بغياً): مفعول له[٧]، والفاء في قوله: ((فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ)) عاطفة على جملة مقدرة اختصاراً وإيجازاً، أي: كان الناس متفقين على الحق فاختلفوا فبعث، والكلام مستأنف مسوق للدلالة على كيفية الاختلاف السائد بين الناس والزيغ المؤدي الى التفريق بينهم، وذلك بدلالة ما بعده، فدلالة (الفاء) للترتيب والتعقيب، وذكر المالقي (ت٧٠٢هـ) أنَّ "الربط والترتيب لا يفارقانها"[٨]، وفي الآية الكريمة تَقْتَضِي (الفاء) أنْ يكونَ بَعْثُ الأنبياء بعد الاختلافِ[٩]، أي: أنَّ بعثةَ الأنبياء (عليهم السلام) كانت مُتأخرة عن كون الناس أُمَّةً واحدة.

وقد نُصِبَ (مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) على الحال من (النَّبِيِّينَ)، والمعنى: إنَّ أمم الأنبياءِ الذين بعث إليهم الأنبياء كانوا كفاراً كما كانت هذه الأمة قبل مبعث النبي (ﷺ)[١٠]، وقريبٌ من ذلك ما ذكرهُ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) من "أنّ الناس كانوا على ملة آدم حَتَّى عبدُوا الأَصنامَ، فبعثَ اللَّهُ إليهم نُوحًا (عليه السّلام)، فكان أَوَّلَ رسولٍ بَعَثهُ اللَّهُ إلى أهل الأرض"[١١]، والمغزى

---

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٢٨٩.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١٣٢.

(٣) ينظر: العين: ٢٥٩/٦.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٢٤٦/١١.

(٥) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: ٥٩٠/٢.

(٦) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده: ٦١/١٠.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٢٨٤/١.

(٨) رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٤٤٠.

(٩) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي: ٥٠١/٣.

(١٠) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ١٠٧/١، والتبيان في إعراب القرآن، العكبري: ١٧٠/١.

(١١) تفسير القرآن العظيم: ٤٢٥/١.

المقصود من ذكر ذلك، تَشجيعُ الرّسولِ محمد (ﷺ) والمُؤمنينَ على الثَّباتِ والصّبرِ على أذَى المُشركين بِذكرِ ما قابَلَتْ بهِ الأُمَمُ السَّالِفَةُ أنبياءَها وما لَقُوا فيها مِنَ الشّدائدِ[١].

وجاء الاقتران (فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)؛ في سياق بيان وظيفة الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام) الأساسية، مبشرين بالثواب على الطاعات، ومنذرين بالعقاب على المعاصي والذنوب، وبذل كل ما في وسعهم لهداية الناس أجمعين.

والمجال الدلالي للفعل (بَعَثَ) في القرآن الكريم هو (الحركة)[٢]، وبناءُ الفعل الماضي (فَعَلَ) ووزنهُ من أكثر الأبنية استعمالاً وأوفرها، وذكر سيبويه (ت١٨٠هـ) أنَّهُ ليس شيءٌ أكثرَ في كلامهم من (فَعَلَ)[٣]، وبابُ (فَعَلَ) عند الرضي (ت٦٨٦هـ) "لخفتهِ لم يختص بمعنًى من المعاني، بل استعمل في جميعها؛ لأنَّ اللفظ إذا خفَّ كَثُرَ استعمالهُ واتسعَ التصرُّف فيه"[٤]، وقد نبَّه على هذه الحقيقة أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) بقولهِ: ((والبعثُ لا يكون حَمْلا، ويُسْتَعْمل فِيمَا يعقل دونَ مَا لا يعقل، فَتَقول: بعثتُ فلاناً بكتابي، ولا يجوز أَن تَقول: بعثت كتابي إِلَيْك))[٥]، في حين أنَّ الإرسال يُستعمل مع غير العقلاء، في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾[الأعراف، من الآية: ١٦٢]، ومما تجدرُ الإشارة إليه أنَّ (البعث) ورد استعماله مع غير العقلاء في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ﴾[المائدة، من الآية: ٣١]. وقد ذهب أبو جعفر الغرناطي (ت٧٠٨هـ) إلى أنَّ "أرسل أخصُّ في باب الارسال من البعث، إذ لا يقال: أرسل إلا فيما كان توجيهاً فيه معنى الانتقال حقيقة أو مجازا، أما (بعث) فأوسع، فإنه يقع بمعنى الإرسال وبمعنى الاحياء"[٦]، فعلى هذا يكون بين (بعث، وأرسلَ) عموم وخصوص، وقد فرَّق الدكتور فاضل السامرائي بين (البعث) و(الإرسال)، وذكر أنَّ (البعثَ) إرسالٌ وزيادة؛ لأنَّ فيه معنى الإثارة والإنهاض والتّهييج، والبعث قد لا يكون بإرسال شخص من مكان إلى آخر بل يكون بإنهاض شخص من المجتمع، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ

---

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري: ٢٨٣/١.

(٢) ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني (دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم)، الدكتور محمد محمد داود: ١١٦/١.

(٣) ينظر: الكتاب: ٣٧/٤.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب: ٧٠/١.

(٥) الفروق اللغوية: ٢٨٩.

(٦) ملاك التأويل: ٢١٦/١.

نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[النحل: ٨٤]، أي: يوم نُنْهِضُ ونُقيمُ لا يومَ نُرسل، إذ السياق اقتضى ذكر الفعل (نبعث) من دون (نرسل)(١).

وذهب الدكتور محمد محمد داود إلى أنَّ (البعث) و(الإرسال) في القرآن الكريم يشتركان في معنًى لغوي عامٍّ هو التوجيه، ويختلفان في أنَّ (البعث) يتميَّز بملمح التنبيه والإيقاظ والإثارة، أمَّا (الإرسال) فيتميَّزُ بالرفق والهدوء والرحمة، إلا في المواضع التي جاء مركَّبًا فيها مع حرف الاستعلاء (على)، إذ يكتسب (الإرسال) معهُ معنى القهر والتسليط والعذاب، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[الفيل: ٣]، فهُنا اكتسبَ (الإرسال) معنى القوة(٢).

والتعبير القرآني بـ(النَّبِيِّينَ) من دون المرسلين؛ لأنَّ النَّبِي لا يكون إلا صَاحب معْجزَة، وَقد يكون الرَّسُول رَسُولا لغير الله تَعَالَى، فَلا يكون صَاحب معْجزَة، والإنباء عَن الشَّيء قد يكون من غير تحميل النبأ، والإرسال لا يكون إلا بتحميل، والنبوة يغلب عَلَيها الإضافة إلى النَّبِي، فَيُقَال: نبوة النَّبِي؛ لِأَنَّهُ يسْتَحق مِنْهَا الصّفة الَّتِي هِيَ على طَرِيقه الْفَاعِل، والرسالة تُضَاف إِلَى الله تعالى، لأَنَّهُ الْمُرْسل بهَا، والنبوة: تَكْلِيف الْقيام بالرسالة(٣).

و(مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) من ألفاظ التضاد الحاد اللذين لا يمكن أن يجتمعا، لكنَّ الأمر هُنا مختلفٌ؛ لوجود فعلٍ يقترن بهما، فالنبي مُكلَّفٌ بالبشارة والنذارة معاً، وقد قُدمتِ البِشارة على النذارة (مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)؛ إشعارًا بأنَّ الأصل في رسالة الأنبياء والرُّسل (عليهم الصلاة والسلام) التبشير، وتكريما للمؤمنين المبشَّرين؛ ولأنَّ البِشارةَ " أَبْهجُ للنّفسِ، وأَقبلُ لِمَا يُلْقِي النّبيُّ، وفيها اطمئنانُ المُكَلَّفِ، والوعدُ بِثوابِ ما يَفعلهُ مِنَ الطَّاعةِ"(٤)، والقاعدة في محاولة الأمور الصعبة أنْ يُبدأ فيها بالتلطُّف والتيسير ليكون أدعى للقبول.

يتضح لنا مما سبق أنَّ دلالة الفعل الماضي (بعثَ) في الآية الكريمة هي (التوجيه)، ولم تتغير دلالة (البعث) من حيث كونها مفردة لغوية دالة على إثارة الشيء وتوجيههِ، إنّما تغير العالَم الذي وردت فيه، وهو اختلاف المبعوث، وقد دلَّنا عليه السياق، ويمكن أن يندرج الفعل الماضي (بعث) تحت الاقتران الحُر، إذ يمكن أن يقع في صحبة كلمات غير محددة، كما يمكن أنْ يُستبدل به غيرهُ في مواقع كثيرة، والدلالة الناشئة من العملية الاقترانية بين الفعل (بعثَ) ولفظتي التضاد الحاد هي (الاحتياج)، أي: حاجة البشر كافة إلى إرسال الرسل؛

---

(١) ينظر: التعبير القرآني: ٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: ١٣٨.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٨٩.

(٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي: ٣٦٤/٢.

لتتضح أمامهم معالم الرشد والهدى، وفيها إشارة إلى تقرير القرآنِ الكريمِ وحدة الرسالات السماوية في أهدافها ومنطلقاتها ووسائلها، وإن اختلفت في جزئيات تشريعاتها.

٢ـ جاء الفعل الماضي (حَبِطَت) مقترنا بلفظتي التضاد الحاد (الدنيا، الآخرة) في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[آل عمران: ٢٢]. أشارت الآية الكريمة إلى الذين سبق ذكرهم في قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[آل عمران: ٢١].

فأُولئك الموصوفون بالكفر، وقتل الأنبياء ومن يأمر بالقسط من الناس، وهم اليهود، وقد بطلت أعمالهم الصالحة في الدنيا والآخرة؛ لأنهم كانوا على ضلالٍ[١]، وفي الآية الكريمة تذكيرٌ وتوبيخ للمعاصرين لرسول الله (ﷺ) بمساوئ أسلافهم وببقائهم على فعل ما أمكنهم من تلك المساوئ، وهو التحريض على قتل النبي(ﷺ)[٢].

وأصل الفعل الماضي (حَبِطَ) من (ح ب ط)، والحَبَط: وَجَع يأخُذُ البعيرَ في بَطْنه من كَلأً يَسْتَوْبِلُه، من ذلك يُقال: حَبِطَتِ الإبِل تَحْبَط حَبَطاً[٣]، و"إذا عَمِل الرجلُ عملاً ثمَّ أفْسدهُ، قيل: حَبِطَ عَمَلُه، وأَحْبَطه صاحِبُه"[٤]، وحَبِطَ عملُهُ حَبْطاً بالتسكين، وحُبوطاً، إذا بطَلَ ثوابُه[٥]؛ لأنَّ للحاءِ والباءِ والطَّاءِ أَصْلاً واحِداً يدُلُّ على بُطْلانٍ أو أَلَمٍ، يقالُ: أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَ الكافِرِ، أَي: أَبْطَلَهُ، أَمّا الأَلمُ فالحَبَطُ: أَنْ تَأْكُلَ الدّابَّةُ حتَّى يُنفَخَ لذلك بطنُها[٦].

و(الدُّنيا) في اللغة: دَنَا الشَّيْءُ من الشَّيْءِ دُنُوّا ودَناوَةً، إذا قَرُبَ، ودَنَوْتُ مِنْهُ دُنُوّاً وأَدْنَيْتُ غَيْرِي، وسُمِّيتِ الدُّنيا؛ لِدُنُوِّهَا[٧]، و(الآخِرَة) في اللغة: خلاف الأُوْلَى، والتَّأَخُّرُ: ضِدُّ التَّقَدُّمِ، والآخِرَةُ والأُخْرَى: دارُ البَقَاء، صفةٌ غالبةٌ[٨].

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٦/٢٨٧.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي: ١/٤١٥.

(٣) ينظر: العين: ٣/١٧٤.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٤/٢٢٨.

(٥) ينظر: الصحاح: ٣/١١١٨.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة: ٢/١٢٩، ١٣٠.

(٧) ينظر: لسان العرب: ١٤/٢٧٢.

(٨) ينظر: القاموس المحيط، الفيرزآبادي: ٣٤٢، وتاج العروس، الزبيدي: ١٠/٣٦.

والفعل (حَبِطَ) على وزنِ (فَعِلَ)، وبناؤهُ من الأبنية التي يكثُر استعمالها في العربية، فقد استُعمل في معانٍ متّسعةٍ؛ وذلك لخفتهِ، إذ يأتي متعديا، نحو: لَزِمَ يلزَمُ، ويأتي لازما، نحو: نَدِمَ يَندَمُ، ولزومهُ أكثرُ من تعدِّيهِ، وتكثر في بناء (فَعِلَ) الأعراضُ من العلل والأحزان وأضدادها[١]، وفيما كان داءً، ذكرهُ سيبويه (ت١٨٠هـ) في "باب ما جاء من الأدْواء على مثال وَجعَ يوجع وَجعاً وهو وَجِعٌ، لتقاربِ المعاني، وذلك: حَبِطَ يَحْبَطُ حَبطاً وهو حَبِطٌ"[٢].

والمجال الدلالي الذي ينتمي إليه الفعل (حَبِطَ) في القرآن الكريم هو (المنع)، ونمطهُ التركيبي في الآية الكريمة: (حَبِطَ + في) يدلُّ على البطلان والفساد وزمنهِ؛ وقد أفادت (في) الظرفية الزمانية، وهي ظرفٌ للحبوط لا للأعمال[٣]، وجاء التعبير بالفعل (حَبِطَ) من دون غيره من الأفعال؛ لأنَّ الإحباط إبطَال عمل البرِّ من الحسنات بالسيئات، فهُوَ من قَوْلك: حَبط بطنه، إذا فسد بالمأكل الرديء[٤]، فلو فُرِضَ أنَّ اليهود عملوا بعض الأعمال الصالحة، فإنها ستُمحى وتزول؛ بسبب الذنوب الكبيرة التي يرتكبونها، و"أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سِيق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته"[٥]، ويجوز أيضاً أن يكونَ إطلاقُ الحَبَطِ على ذلك تمثيلاً بحالِ الإبلِ التي يُصيبُها الحَبَطُ وهو انتفاخٌ في بُطونها من كثْرَةِ الأكْلِ، يكونُ سَبَبَ مَوتها، في حِين أكَلَت ما أكَلَتْ للالتذاذ به[٦]، وهكذا فإنَّ أعمال هؤلاء قد تنتفخ وتتضخم في الأعين، ولكنه الانتفاخ المؤدي إلى البطلان والهلاك! إذ لا ينصرهم ناصر ولا يدفع عنهم حام[٧]، وذكر الإمام البقاعي (ت٨٨٥هـ) أنَّ في تأنيث الفعل (حَبِطَتْ) إشارة إلى ضعفِ أعمالهم من أصلها، الدنيوية والدينية، فلا يعتدّ بها لعدم شرطها؛ لأنها مجردُ صورٍ لا معاني لها؛ لتضييع

---

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٤٣٥/٤، والصيغ الثلاثية- مجردة ومزيدة اشتقاقاً ودلالةً-، الدكتور ناصر حسين علي: ١٢٤، ١٢٥.

(٢) الكتاب: ١٧/٤.

(٣) ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني: ١٩٤/٢.

(٤) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٣٦.

(٥) التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي:١٩٣/١.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٠٧/٣.

(٧) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ٣٨١/١.

القواعد[١]، واسم الإشارة (أولئكَ) في الآية الكريمة فيهِ معنى البعد؛ للدلالة على تَرامي أمرهِم في الضلال، وبُعد منزلتهم في فظاعة الحال[٢].

والآية الكريمة خاطبت أبناء اليهود بأنَّ: "آباءَكم الذينَ أنتم مُستمسكون بدينِهم كانوا على الحالة التي أنتم عالمونَ بها من الاتّصافِ بهذه الأَوصافِ، فينبغي لكم أَن تسلكوا غيرَ طريقهم، فإنهم لم يكونوا على حقٍّ، فذَكَرَ تقبيحَ الأوصافِ، والتَّوَعُّدَ عليها بالعقابِ، ممَّا يُنَفِّرُ عنها، ويَحْمِلُ على التّحلِّي بِنقائضها من الإيمان بآياتِ اللَّهِ وإجلالِ رُسُلهِ وأَتْباعهم"[٣]، على الرغم من أَن الجِناية وُجدت من آبائهم؛ للإيذان بأن هذا شأنهم، وأنه متغلغل في دمهم، وأنهم لو وجدوا أنبياءَهم لقتلوهم، كما فعل آباؤهم؛ ولأَنَّهم رَضوا بفعلهم، ودانوا بدينهم، فاستوجبوا هذا العذَاب[٤] وهو حبطُ عملهم في الدنيا، وليس لهم مَن ينصرهم من عذاب الله تعالى أو يدفع عنهم عقابه في يوم القيامة لقولهِ تعالى: ((وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ))، وقد نفى الله تعالى عنهم الناصر الذي يدفع العذاب عنهم؛ لأَنَّهم لمَّا قتلوا النبيين والذين يأمرون بالقسط وهم ناصرو الحق، ولم يوجد فيهم ناصر يحول بينهم وبين قتلهم جُوزوا بعذابٍ لا ناصر لهم منه ولا معين[٥]، والوقوف على آيات الوعيد، ومشاهد العذاب يوم القيامة، يحرك في النفس بواعث الخوف، ويردعها من ارتكاب ما قد يوصلها إلى العذاب الأليم، ويوقظها من سبات الشهوات والملذات.

إنَّ أثر التضاد لا يقتصر على اللفظ، وليس لمجرد الحلية والزينة، بل إنَّ له أثراً جوهرياً في توضيح المعنى وإبرازِه، فذِكْرُ لفظتي التضاد (الدنيا، الآخرة) واقتران الفعل (حَبِطَ) بهما، جاء للوعيد من جهة، ولكشفِ أعمال اليهود من جهة أخرى، وما هم عليه من ادِّعائهم التمسك بالتوراة، وإقامة شريعة موسى (عليه السلام)، فَقُصِدَ ببطلان عملهم في الدنيا: أنها لم تحقن دماؤهم وأموالهم، ولم ينالوا بها الثناء والمدح، وفي الآخرة: أنهم لم يستحقوا بها مثوبة، فصارت كأنها لم تكن؛ لأنَّ حبوط العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب والأجر والمدح وحسن الذكر، وإنما تحبط الطاعة حتى تصير كأنها لم تفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به[٦].

---

(١) ينظر: نظم الدرر: ٤٨/٢.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: ٢٠/٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٧٦/٣.

(٤) ينظر: تفسير القرآن، السمعاني: ٣٠٥/١.

(٥) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي: ١٢٥/٣.

(٦) ينظر: جامع البيان: ٢٨٧/٦، ومجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤٩٨/٥.

يتضح لنا مما سبق أنَّ دلالة الفعل (حَبِطَ) في الآية الكريمة هي (الإبطال)، ويمكن أن يندرج الفعل (حَبِطَ) تحت مظلة الاقترانات اللغوية المجازية أو غير العادية؛ لأنَّ (الحبط) فساد يلحق الماشية في بطونها لأكل الحباط، وهو نوعٌ من الكلأ المُضر، وينتفخ بطنه فيموت، وهذا النوع من الاقتران يعتمد على اللجوء إلى التراكيب المجازية، أما الدلالة الناتجة من اقتران الفعل (حَبِطَ) بلفظتي التضاد (الدنيا، الآخرة) فهي (عدم الانتفاع)، لأنَّ العمل الصّالحَ إنّما يَنفعُ بِحُسن أثرِهِ في النّفْس، ونُفُوسُ هؤلاء اليهود قد أوغَلَ فيها الفسادُ ففقدتْ الاستعدادَ والقَبُولَ لكُلِّ خير.

٣. جاء قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[آل عمران: ٨٣]. متضمنا اقتران الفعل الماضي (أسلمَ) بلفظتي التضاد الحاد (طوعاً، كرهاً).

جاء في سبب نزول الآية الكريمة أنَّهُ حينما اختصم أهل الكتابَيْنِ إلى رسول الله (ﷺ) فيما اختلفوا فيه بينهم من دين إبراهيم، إذ زعمت كل فرقة أنها أولى بدينه، فقال النبي (ﷺ): ((كِلا الفريقين بريء من دينِ إبراهيم)) فغضبوا وقالوا: واللهِ ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة(١).

والفعل الماضي (أَسْلَمَ) أصلهُ من (س ل م)، يُقال: سَلَّمَ الشيءَ لفلانٍ، أي: خَلَّصَه، وسَلِمَ لَهُ الشَّيْءُ، أَي: خَلَّصَ لَهُ، ومن ذلك الإسلام: وهو الاستسلامُ لأمر اللهِ تَعالَى، وهو أيضًا الانقيادُ لطاعتِهِ، والقَبُولُ لأَمره(٢).

والطَّوْعُ في اللغة بمعنى الانقيادُ؛ لأنَّ الطّاءَ والواوَ والعَينَ أَصلٌ صحيحٌ واحِدٌ يدُلُّ على الإصحابِ والانقيَادِ، من ذلك يُقالُ: طَاعَهُ يَطُوعُهُ، إذا انقَادَ معَهُ ومضَى لِأَمْرِهِ، وأَطاعَهُ بمعنَى طَاعَ لهُ، ويُقالُ لِمَنْ وافَقَ غَيْرَهُ: قَدْ طَاوَعَهُ(٣)، والطَّوْعُ يُضادُّهُ الكَرْهُ(٤).

أمَّا الكَرْهُ فهو ما أكرهكَ غيرُكَ عَلَيْهِ، وفيها لغتان (الكُرْه والكَرْه)، ويُقال: أمْرٌ كريه بِمَعْنى مَكْرُوه، وَأَنا كَارِه، والمَكْرَه: المَفْعَل من الكُرْه، والجمع: مَكاره، وأكرهتُ فلانًا على كذا وكذا إِكْرَاهًا، إذا أجبرتهُ عَلَيْهِ(٥).

---

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن: ٢٦٥/١.

(٢) ينظر: العين ٢٦٦/٧، وتهذيب اللغة: ٣١٢/١٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٣١/٣.

(٤) ينظر: تاج العروس: ٤٦١/٢١.

(٥) ينظر: جمهرة اللغة: ٨٠٠/٢، والقاموس المحيط: ١٢٥٢.

ومجيءُ الهمزةِ في قوله تعالى: ((أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ)) للاستفهامِ، والمُرادُ منها استنكارُ أَنْ يَفعلُوا ذلك، ومَوضِعُ الهمزةِ هو لفظةُ يبغونَ، والتقدير: أَيبغونَ غَيْرَ دِينِ اللَّهِ؟ لأَنَّ الاستفهامَ إِنَّما يكون عنِ الأفعال والحوادثِ، إلا أَنّ التعبير القرآني جاء بتقديم المفعول به الذي هو (فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ) على فعلِهِ؛ لأَنَّهُ أَهَمُّ من حيثُ إِنَّ الإِنكارَ الذي هو معنَى الهمزَةِ مُتَوَجِّهٌ إلى المعبودِ الباطلِ والمعنى: أيتولون عن الإيمان بعد هذا البيان فيبغون دينا غير دين اللّه تعالى الذي هو الإسلام. وانْتَصَبَ (طَوْعًا وَكَرْهًا) على أَنَّهُ مصدَرٌ وقعَ موقعَ الحالِ، والتقدير: طَائِعين وكَارِهين، كقَولك: أَتَاني راكضًا، ولا يجوزُ أَنْ يُقال: أَتاني كلامًا، أَي: مُتَكَلِّمًا؛ لأَنَّ الكلامَ لا يُضرب للإتيان[١]، وجوَّزَ أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) أَنْ يكونَ (طَوْعًا وَكَرْهًا) مَصدرَينِ على غيرِ الصَّدْرِ؛ لأَنَّ (أَسْلَمَ) بمعنَى انْقَادَ وأَطاعَ، أي: أنهما مفعولان مطلقان لفعلين محذوفين[٢].

والمجال الدلالي للفعل (أَسْلَمَ) في القرآن الكريم هو (العبادة والطاعة)[٣]، ونمطهُ التركيبي في الآية الكريمة: (اللام ، الهاء ، أَسْلَمَ)، يدلُّ على الإذعان والخضوع؛ لأَنَّ (اللام) في قوله تعالى: ((وَلَهُ أَسْلَمَ)) لامُ الملْكِ، وهي "مُوصِلةٌ لمعنَى الملْكِ إلى المالِكِ وهي متَّصلةٌ بالمَالِكِ لا المَمْلوك، كقولِك: هذه الدار لزيد"[٤]، وقد أفادت الحصر، والمعنى: وله كل ما في السموات والأرض لا لغيره، فـ"إِنْ قُلتَ: كيف قال ذلك، مع أَنَّ أكثر الإِنس والجنِّ كفرة؟ قُلتُ: المرادُ بهذا الاستسلامُ والانقيادُ لما قدَّرهُ عليهم، من الحياةِ والموتِ، والمرضِ والصّحةِ، والشقاءِ والسعادةِ، ونحوها"[٥]. وصيغة الفعل الماضي (أَسْلَمَ) تحتمل معنيين:

الأول: الاستغناء، وهو الاكتفاء بوزن عن آخر من دون موجب صرفي لذلك[٦]، فيكون معنى (أَسْلَمَ) أذعنَ وانقاد، وهو الراجح والله أعلم، ومنهُ يقال: أَسْلَمَ أمرَه إلى الله تعالى، أي: سَلَّمَ، وأَسْلَمَ، أي: دخل في السَلْمِ، وهو الاستسلام، وأَسْلَمَ من الإسلام[٧]، والمجرد من هذا الفعل بهذا المعنى مهمل غير مستعمل، مع أنه لا مانع من استعماله؛ لأنهُ قيل في هذا المعنى: طاعَ لهُ

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٣٨/١، والتفسير الكبير، الفخر الرازي: ٢٨٠/٨، ٢٨١.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٧٧/١.

(٣) ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني: ٢٢٣/٢.

(٤) اللامات، أبو القاسم الزجاجي: ٦٢.

(٥) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري: ٩٣.

(٦) ينظر: الكتاب: ٢٤/١، ٢٥، وظاهرة الاستغناء في قضايا النحو والصرف، زين كامل الخويسكي: ١٢.

(٧) ينظر: الصحاح: ١٩٥٣/٥.

وخضعَ، إلا أنهُ أُهمِلَ ذلك استغناءً بالرباعي (أسلمَ) عنهُ، وكل فعلٍ ورد في كلام العرب على (أفعل) ولم يُستعمل لهُ ثلاثيٌّ من مادته في معناهُ، ووُجِدَ ثلاثيٌّ من غير مادتهِ يناسبهُ بأن يكون مماثلا له في التعدي واللزوم ومشاركا له في الدلالة على المعنى أو مقابلا له، يُقال عن هذا الفعل: إنَّهُ أغنى عن الثلاثي الذي أُهمل وأُميت[1]، وأشار السيوطي (ت٩١١هـ) إلى ظاهرة (الاستغناء) وذكر أنها: "بابٌ واسعٌ، فكثيرًا ما استغنت العرب عن لفظ بلفظ"[2]، وقد يُلجأ إلى الاستغناء طلبًا للاستحسان، أو الرغبة في التخفيف، ويكون أيضًا للإيجاز والاختصار، أو ميلاً لكثرة الاستعمال.

الثاني: يُحتمل أن يكون الفعل (أَسْلَمَ) غير قاصر، أي: على تقدير مفعولٍ بمعنى أَسْلَمَ نفسَهُ، وعلى هذا تكون الهمزة فيه للتعدية، ومنهُ يُقالُ: أسلمهُ بمعنى صيَّرهُ يسْلَمُ، وسلَّمَ لهُ الشيء، إذا خلص له، وأسلمهُ، إذا أخلصهُ[3].

وذُكِرَ في تفسير قوله تعالى: ((وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً)) عدة أقوال، منها: أنَّ المسلمين أسلموا طوعا، وأنَّ الكافرين سيعرفون الحقيقة حين يرون مصداق نذر الله تعالى فيسلمون كرها، ولا يكون إسلامهم نافعاً لهم ومنها أيضاً: أنَّ جميع مَنْ في السموات والأرض خاضع لله تعالى ومسخر لأمره داخلٌ في نطاق قدرته وحكمه النافذ من دون أنْ يتوقفَ ذلك على رضاهم وكرههم[4]، فمشيئة الله تعالى نافذة فيهم، وَقَدَرُهُ جارٍ عليهم، أحبوا ذلك أم كرهوا.

والسياق العام للآية الكريمة ((وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً))؛ يوحي بإجراء حِكَمِ الإلهية عليهم على وجه القهر[5]، فجميعَ الكائنات في السموات والأرض، خاضعون لأوامر الله تعالى، وهذا الاستسلام والانقياد يكون اختياريا أحيانا إزاء القوانين التشريعية، ويكون إجباريا أحيانا أخرى إزاء القوانين التكوينية، وفي هذا تحذير من الله تعالى

---

(١) ينظر: فعلت وأفعلت، الزجاج: ١٠٥، والزوائد في الصيغ في اللغة العربية، زين كامل الخويسكي: ٢٧/٢.

(٢) الأشباه والنظائر في النحو: ١١٣.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٥٣٤/١٣.

(٤) ينظر: النكت والعيون، الماوردي: ٤٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٢٨/٤، والتفسير الحديث، محمد عزة دَرْوَزَة: ١٨٤/٧.

(٥) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري: ٢٥٥/١، والتفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ٥١٢/٢.

لخلقه أن يرجع إليه أحد منهم على غير ملة الإسلام[١]، وإنه لمشهد شامل عميق للإسلام والاستسلام، مشهد كوني يأخذ بالمشاعر، وترتجف لهُ الضمائر، مشهد الناموس القاهر الحاكم، الذي يَرُدُّ الأشياءَ والأحياءَ إلى شرعة واحدة، ومصير واحد[٢].

وقد أسهمَ اقتران الفعل الماضي (أَسْلَمَ) بلفظتي التضاد الحاد (طَوْعاً وَكَرْهاً) في لفت الانتباه، وإيقاظ الفكر، وشدة العناية، وتوليد الدلالة، ومما زاد التعبير قوة في العرض وتقريبا في النفوس أنَّ (مَنْ) في الآية الكريمة وقعت على العموم، فاجتمع غير العاقل مع العاقل في العبودية، وعبَّر عن الجميع بـ(مَنْ)، وموقعها الإعرابي في محل رفع فاعل[٣].

وقد تضمنت لفظتا التضاد نوعين من الخضوع والاستسلام لله تعالى[٤]:

أحدهما: بالطوع، والإذعان، وقبول كل ما يحكم به، والتقرب منه بعبادته، وأولئك هم الأخيار؛ لأنَّ الطَّوْعَ هو الانقيادُ والاتِّباعُ بسهُولةٍ، وثانيهما: بالخضوع والكره لقوته القاهرة، وكونه سبحانه مُسِّير الأكوان؛ لأنه لَا أحد من الخلق له أثر في تسييرها، وفيما يكسب من خير وشر، والجميع في قدرته وحفظه، وهذا الخضوع هو الخضوع كرها وقسرا، وهو سارٍ على الأخيار والأشرار.

ويتضح لنا مما سبق أنَّ دلالة الفعل (أَسْلَمَ) في الآية الكريمة هي (الاستسلام والخضوع والانقياد)، ويتميز الفعل (أَسْلَمَ) بمدًى واسع من الاقتران، ويمكنهُ المجيء مع أكثر من كلمة، وهو من الضوابط التي حددها اللسانيون للاقتران، أما الدلالة الناشئة من اقتران هذا الفعل بلفظتي (الطوع والكره) فهي (الإقرار بالعبودية لله تعالى).

٤- جاء الفعل الماضي (بَثَّ) مقترناً بلفظتي التضاد الحاد (رِجَالاً وَنِسَاء) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١].

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٥٦٨، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٢٨٥/٤.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٤٢١/١.

(٣) ينظر: معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي: ١٢٩/١.

(٤) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي: ٤٦٥/١، وزهرة التفاسير، محمد أبو زهرة: ١٢٩٨/٣.

ابتدأت الآية الكريمة بالأمر بتقوى الله تعالى، ومن تقوى الله المحافظة على ما أمر به، وجاء الخطاب لجميع الناس؛ تذكيراً لهم بوحدة المنشأ والمبدأ، وإنهم جميعاً يرجعون إلى رحم واحدة[١]، وجعل الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) وجها في الآية الكريمة يدلُّ على المعاد؛ لأن الذي له القدرة على الإيجاد والخلق من نفس واحدة، فلا يستبعد أن يعيدهم جميعاً ويبعثهم يوم القيامة، فالآية الكريمة تومِئ إلى المعاد من هذا التوجه[٢].

والفعل الماضي (بَثَّ) أصلهُ من (ب ث ث)، يُقالُ: بَثَثْتُ الشَيءَ والخبرَ، إذا نشرتُهُ، وابتثثته أيضاً، وبثَثْتُ الشيءَ أَبُثُّه: إذا فَرَّقتَه[٣]، ومن ذلك قول الشاعر ذي الرمّةِ[٤]:

وأُسْــقيْهِ حتَّــى كــادَ ممَّــا أبثُّــهُ تُكَلِّمُنــــي أحجــــارُهُ ومَلاعِبُــــهْ

ومنهُ أيضا: بَثُّ الشيءِ، أي: تفريقُهُ، ومن ذلك: بَثَّ الخَيْلَ في الغارة، وبَثَّ الصيادُ كِلابَهُ، وخلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ فَبَثَّهُم[٥]، وكلُّ شَيْء فَرقْتَهُ فقد بَثَثْتَهُ[٦]، فالمعنى اللغوي للفعل (بثَّ) وهو يدور حول التفريق والنشر.

والرجل في اللغة: الذّكر من نوع الإنسَان، ويُقال: هذا رجلٌ، أي: ليس بأنثى[٧]، والرجولة: اتصافُ المرء بما يتصف به الرجل عادة، أمَّا النساء في اللغة فهو جمع امرأةٍ من غير لفظها، ومنهُ النِّسْوَةُ والنّسوان والنّسُون كلّه: جملة النِّساء، لا واحِدَ لهُ من لفظه[٨].

والمجال الذي ينتمي إليه الفعل (بَثَّ) في القرآن الكريم هو (الحركة)، ونمطه التركيبي في الآية الكريمة: (بَثَّ ، مِن) يدلُّ على (بيان مبدأ النشر)؛ لأنَّ (مِنْ) هُنا لابتداء الغاية، إذ إنَّ آدم وحواء كانا مبدأ نشر البشر[٩]، والمعنى: "نشرَ وفرَّق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالاً ونساءً، وإنما مَنَّ علينا تعالى بأنْ خلقنا من نفس واحدة؛ لأنه أقرب إلى أنْ يعطف

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٥٢١/٧.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٥٧/٩.

(٣) ينظر: العين: ٢١٧/٨.

(٤) ديوان ذي الرمَّة: ٢٣.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة: ١٥/١٥.

(٦) ينظر: جمهرة اللغة: ٦٣/١.

(٧) ينظر: الصحاح: ١٧٠٦/٤، ومفردات ألفاظ القرآن: ٣٤٤، ٣٤٥.

(٨) ينظر: العين: ٣٠٣/٧، ولسان العرب: ٣٢١/١٥.

(٩) ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني: ١١٠/١.

بعضنا على بعض، ويرحم بعضنا بعضًا؛ لرجوعنا إلى أصل واحد؛ ولأنَّ ذلك أبلغ في القدرة، وأدلُّ على العِلْم والحكمة"(١).

ويجوز أن تكون (مِنْ) في قوله تعالى: (منهما) للاستغراق وبيان الجنس، وهو الراجح، أي: بث جميع الخلق منهما(٢)، والمعنى: نَشَر من آدم وحواء نوعَي جنس الإنس وهما الذكور والإناث، فجعل النسل من الزوجين كليهما، وجميع سلائل البشر متوالدة من زوجين ذكر وأنثى، فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل بكيفية خلقهم منها(٣)، وذَكَرَ الفرَّاء (ت٢٠٧هـ) أنَّ العربَ تقول: بث اللَّه الخلق، أي: نشرهم، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾[القارعة:٤]، ومن العرب مَن يقول: أبث اللَّهُ الخلق، ويقولون: بثثتك ما في نفسي، وأبثثتك(٤)، وهذا يدلُّ على أنَّ "البشر الذين تفرقوا في هذا الوجود رجالا وإناثا، وانشعبوا قبائل متفرقة في أقصى الأرض وأدناها كلهم ينتمون إلى هذه النفس الواحدة بلا فرق بينهم في أصل الانتماء"(٥)، وقوله: ((كَثِيراً)) صفة لقوله: ((رِجالا)) وهو صفة مؤكدة؛ لِمَا أفادهُ التنكير من معنى الكثرة، وجاء الوصف بصيغة الإفراد؛ لأن (كَثِيراً) وإن كان مفردا لفظا إلا أنه دال على معنى الجمع، واستغنَى عن وصف النساء بالكثرة، اكتفاءً بوصف الرجال بذلك، ولأن الفعل (بَثَّ) يقتضي الكثرة والانتشار(٦)، فيُحتمل أنْ يكون لفظُ (كَثِيرًا): نَعْتًا لمصدَرٍ محذُوفٍ؛ أي: بَثًّا كَثِيرًا(٧).

وجاء التعبير القرآني بالقول: ((وَبَثَّ مِنْهُما رِجالا كَثِيراً وَنِساءً))، ولم يَقُل: وبَثَّ مِنهُما الرِّجالَ والنِّساءَ؛ لأَنَّ ذلك يُوجِبُ كَونهُما مبثُوثينَ عن نَفْسيهِما وذلك مُحالٌ، فلهذا عَدَلَ عن هذا اللَّفظِ إلى قولِهِ: ((وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَنِساءً))، فإِنْ قيلَ: لِمَ خَصَّصَ وَصْفَ الكثْرةِ بالرِّجالِ من دُون النِّساءِ؟ السَّبَبُ فِيهِ وَاللَّهُ تعالى أعلى وأعلَمُ، أَنَّ شُهْرَةَ الرِّجالِ أتمُّ، فكانت كثْرَتُهم أظْهرَ، فلا جَرَمَ خُصُّوا بِوصْف الكثْرةِ، وهذا كالتَّنْبيهِ على أَنَّ اللَّائِقَ بِحالِ الرِّجالِ

---

(١) ينظر: مجمع البيان: ٨/٣.

(٢) ينظر: معاني القرآني وإعرابهُ: ٥/٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٦١/١، وتفسير المراغي: ١٧٧/٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن: ٢٥٢/١.

(٥) زهرة التفاسير، أبو زهرة محمد بن مصطفى: ١٥٧٧/٣.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١٧/٤.

(٧) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٣٢٦/١، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة: ٤٩٥/١٠.

الاشتِهارُ والخُرُوجُ والبُرُوزُ، واللائِقُ بِحالِ النِّساء الاختِفاءُ والخُمُولُ[١]، ومِن هذين المخلوقين، الزوجين: الذكر والأنثى، تكاثرَ الناس وانتشروا، فكلا الطرفين في المفارقة يلقي بظلاله على الآخر، فيبرز ملامحهُ، ويزيدها وضوحا وجلاءً؛ لأنَّ الضدية من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع التي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام[٢]، إذ الضد أقربُ حضورا بالبال عند ذكر ضدهِ، فمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، مما يولد شوقا لدى المتلقي من تداعي التقابل، فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني[٣].

يتضح لنا مما سبق أنَّ دلالة الفعل (بثَّ) في الآية الكريمة هي (النشر والتفريق) على سبيل التناسل والتوالد؛ لأنَّ البَثّ في كلام العرب هو النَّشْرُ والتفريقُ للأشياءِ الكثيرةِ، ويمكن أن يندرج الفعل (بَثَّ) تحت مظلة الاقتران الحُر، والذي ينتج من العلاقات العمودية الاستبدالية بين الألفاظ، ويتحقق حين يمكن للكلمة أن تقع في اقتران كلمات غير محددة، أما الدلالة المتولدة من اقتران الفعل (بَثَّ) بلفظتي التضاد (رِجَالاً، نِسَاء) فهي (إظهار النسل) من آدم وحواء وتفريقهم في هذه الأرض، وقد جاء هذا الاقتران في سياق خطابٍ يعمُّ جميع المكلفين، من الذكور والإناث، منذ نزول الآية الكريمة إلى يوم القيامة.

٥ـ ورد الفعل الماضي (خرقوا) مقترناً بلفظتي التضاد الحاد في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الأنعام: ١٠٠].

توضِّحُ الآيةُ الكريمة ما ادَّعاهُ بعض الناسِ من نسبة البنين والبنات إلى الله تعالى، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير، من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه، بل رميًا بقولٍ عن عمًى وجهلاً بالله تعالى وبعظمته[٤]، وذكر القرطبي (ت٦٧١هـ) أنَّ الآية الكريمة نزلت في مشركي العرب، ومعنى إشراكهم بالجِنِّ أنَّهم أَطاعُوهم كَطاعةِ اللَّهِ (عزَّ وجلَّ)[٥].

والفعل الماضي (خَرَقُواْ) أصلهُ من (خ ر ق)، والخَرقُ: الشق في حائطٍ، أو ثوبٍ ونحوه فهو مخروق، يُقال: خَرَقْتُ الثوب إذا شققته، ويقال للرجل المُتَمَزِّقِ الثِّيابِ: مُنْخَرِقُ السربالِ،

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٤٧٨/٩، ٤٧٩، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٧٧/١.
(٢) ينظر: الصبغ البديعي في اللغة العربية، أحمد إبراهيم موسى: ٤٧١.
(٣) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: ١٧٩.
(٤) ينظر: جامع البيان: ١٠/١١.
(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٢/٧، ٥٣.

والاختِراقُ كالاخْتِلاق، وتَخَرُّقُ الكذب كتَخَلُّقِهِ، والمخارق: الأكاذيب[١]، ومنُه يُقال أيضاً: "خَلَقَ الكلِمَةَ واخْتَلَقَهَا، وخَرَقَهَا واخْتَرَقَهَا، إذا ابْتَدَعَها كذباً"[٢]، وللخاء والرَّاء والقاف أصلٌ واحدٌ، وهو مَزْقُ الشَّيءِ وجَوْبُهُ، وإلى ذَلِكَ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ، فَيُقَالُ: خَرَقْتُ الأَرضَ، أَيْ: جُبْتُهَا،، وُيقال أيضاً: رِيحٌ خَرْقَاءُ: لا تَدُومُ فِي الهُبُوبِ على جِهَةٍ، والتَّخَرُّقُ: خَلْقُ الْكَذِبِ، وَالْمَخَارِيقُ: مَا تَلْعَبُ بِهِ الصِّبْيَانُ مِنَ الْخِرَقِ الْمَفْتُولَةِ[٣]، ومنهُ قول الشاعر عمرو بن كلثوم[٤]:

كَـــأَنَّ سُـــيُوفَنا فِيْنَـــا وفِـــيْهِمْ مَخَـــارِيْقٌ بِأَيْـــدِي لاَعِبِيْنَـــا

فالمِخْراقُ هو السَّيْفُ، ومنهُ قول عمرو بن شأس الأسدي[٥]:

إنَّ بَنِـــي سَـــلْمَى شُـــيُوخٌ جِلَّـــهْ بِـــيضُ الوُجُـــوهِ خُـــرُقُ الأَخِلَّـــهْ

والخُرْقُ، بِالضَّمِّ: الجَهْلُ والحُمْقُ، ويُقال أيضاً: خَرِقَ بِالشَّيْءِ يَخْرَقُ، إذا جَهِلَهُ وَلَمْ يُحسن عَمَلَهُ[٦]، وأصل (الخَرْقِ) عند السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) "قطعُ الشيءِ على سبيلِ الفسادِ من غير تدبُّرٍ ولا تفكرٍ، وهو عكس الخلق، ويعبر بذلك عن الحمق وقلة الحلم وعدم القناعة"[٧]، ومما سبق نخلص إلى القول بأنَّ مادة (خ ر ق) تدور على الشّقِ والفُرجة والمَزْقِ، وما تفرَّعَ منها فإنه يرجع إلى هذا الأصل.

وقُرِئَ (وخرّقوا) بالتشديد على معنى المبالغة[٨]، والمُراد تكثير الفعل من هذا الجنس؛ لأنَّ التّفعُّل يدُلُّ على قُوّةِ حُصول الفِعل[٩]، والمعنى: أنهم أبدَأوا في ذلك وأعادوا ذلك مرة بعد

---

(١) ينظر: العين: ١٤٩/٤، ١٥٠.

(٢) تهذيب اللغة: ١٥/١٧.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ١٧٢/٢، ١٧٣.

(٤) وقولهُ: المخاريق: جمع المخراق، وهو ثوبٌ يُفتَلُ، وقيل: هو ما مُثِّلَ بالشيء، وليس به، نحو ما يلعبُ به الصبيان يشبّهونهُ بالحديد، يقول: كأنَّ اختلاف سيوفنا فيما بيننا في كثرتها وسرعتها مخاريق بأيدي صبيان يلعبون. ديوان عمرو بن كلثوم: ٧٦.

(٥) وقولهُ: خُرُقُ الأخِلَّة، أي: أنَّ سيوفهم تأكل أغمادها من حدَّتها. شعر عمرو بن شأس الأسدي، الدكتور يحيى الجبوري: ٧٩.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٧٥/١٠.

(٧) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٤٩٨/١.

(٨) ينظر: كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد: ٢٦٤.

(٩) ينظر: الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي: ١٨٥/١.

مرة[١]، وقد سمَّى مشركو العرب الملائكة بنات الله تعالى، وقالت اليهود أنَّ عزيرَ ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، فكثُرَ ذلك من كُفرهم، فشُدِّدَ الفعلُ لِمُطابقَةِ المعنَى[٢]، وقرأ ابن عمر وابن عباس (رضي الله عنهما) و(حَرَّفُوْا لَهُ)، وهذا شاهد بكذبهم، والمعنى: وزوّروا له أولاداً؛ لأنّ المزوّر محرّفٌ ومغيَّر للحق إلى الباطل، ومثله قوله تعالى:﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء، من الآية: ٤٦]، وأصله من الانحراف؛ أي: الانعدال عن القصد، وكلاهما من حرْفِ الشيء؛ لأنه زائل عن المقابلة والمعادلة، وكلها بمعنى: كَذبوا[٣]، وسائِرُ القُرَّاء قرأوا: (خَرَقُواْ لَهُ) بِالتَّخْفِيفِ[٤].

والمجال الدلالي للفعل (خَرَقَ) في القرآن الكريم هو (الحركة)، ونمطهُ التركيبي في الآية الكريمة: (خَرَقَ ، اللام) يدلُّ على الشَّقِّ وعلتهِ، إذ (اللام) للاختصاص، أي: نسبوا له هذا الاختلاق واختصوهُ به، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا[٥].

و(خَرَقَ) لغةٌ في (خَلَقَ)، وذكر الفرَّاء (ت ٢٠٨هـ) أنَّ خَرَقُوا واخترقوا وخلقوا واختلقوا، بمعنى افْتَروا[٦]، و(خَرَقُوْا لَهُ) عند أبي عُبيدة (ت٢٠٩هـ) معناهُ "افتعلوا لله بنين وبنات وجعلوها له واختلقوه من كفرهم كذبا"[٧]، وذهب الزَّمخشريُّ (ت٥٣٨هـ) إلى أنهُ يجوز أن يكون من خَرَقَ الثوب، إذا شقَّهُ، والمعنى: اشتَقُّوا له بنين وبناتٍ[٨]، وقد سُئل الحسن البصري (ت١١٠هـ) عن لفظة (خَرَقُوْا) فذكر أنها كلمة عربية، وقد كانت العرب تقولها عندما يكذبُ الرجل كذبة في نادي القوم، إذ يقول له بعضهم: قد خرقها ورب الكعبة[٩]، فهو الادِّعاء للشيء على طريق الكذب والزور[١٠]؛ ومادة (خَرَقَ) عند الإمام البقاعي (ت٨٨٥هـ) "تدور

---

(١) ينظر: معاني القراءات، أبو منصور الأزهري: ٣٧٦/١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٣/٧، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني: ١٦٨/٢.

(٣) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني: ٢٢٤/١.

(٤) ينظر: المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر النيسابوري: ٢٠٠، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢٦١/٢.

(٥) ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني: ١٧٢/١.

(٦) ينظر: معاني القرآن: ٣٤٨/١.

(٧) مجاز القرآن: ٢٠٣/١.

(٨) ينظر: الكشاف: ٥٠/٢.

(٩) ينظر: معاني القرآن، النحاس: ٤٦٦/٢.

(١٠) ينظر: البحر المحيط: ٦٠٣/٤.

على النفوذ والاتساع والإطلاق والتقدير بغير علم ولا معرفة؛ ليحدث عنه الفساد، ولذلك قيل لمن لا يحسن العمل: خرق؛ وللمرأة: خرقاء، يعني أنهم كذبوا واختلفوا واتسعوا في هذا القول الكذب، وأبعدوا به في هذه المجاوزة عن حقيقته، اتساع من سار في خرق، أي: برية واسعة بهماء وسوفة جوفاء متباعدة الأرجاء إلى حيث لم يسبقه إليه بشر، فضلَّ عن الجادة ضلالاً لا ترجى معه هدايته إلا على بعد شديد، فصار جديراً بالهلاك"(١).

وقوله تعالى: (بِغَيْرِ عِلْمٍ) متعلق بمحذوف، وهو حالٌ من فاعل (خرقوا): أَي: كائنينَ أو متلبسين بغيرِ عِلْمٍ، والمعنى: افتعلوا الكذب مصاحبين للجهل وهو عدم العلم، ويجُوزُ أَن يكونَ (بِغَيْرِ عِلْمٍ) نَعْتًا لمصدرٍ محذُوفٍ، أَي: خَرْقًا كائنًا بِغيرِ عِلمٍ(٢)، و"المقصود على الوجهين ذمهم بالجهل"(٣)، وهو أيضا بيانٌ وتوكيدٌ لِمعنَى (خَرَقُوا) فهذا التّعبيرُ من أَدقِّ بلاغة التَّنزيل، وهو بيانُ معنَى الشَّيء بما يَدُلُّ على تزييفهِ، وتنكيرُ (علمٍ) هنا في سياق النَّفْيِ (بِغَيْرِ) لِلدَّلالةِ على انْسلاخِ هؤلاء المشركينَ في خَرْقِهم هذا عن كُلِّ ما يُسمَّى عِلمًا، فلا هم على عِلْمٍ بمعنَى ما يقولونَ ولا على دليلٍ يُثْبِتُهُ، ولا على عِلْمٍ بمكانِهِ من الفسادِ والبُعدِ من العقلِ، ولا بِمكانِهِ من الشّناعةِ والإزراءِ بِمقامِ الأُلُوهيّةِ والرُّبُوبيّةِ، إذ لو علمُوا بذلك لَمَا ارتضوهُ؛ لأنَّ أكثرَهم مُؤمنونَ بخالقهم وخالق كُلِّ شيءٍ، وهم يتقَرَّبُونَ إليهِ بما اتَّخذُوهُ له من شريكٍ وولَدٍ(٤).

والمقصد من استعمال الخطاب القرآني للفظتي التضاد الحاد (بنين وبنات)؛ لإظهار مدى افتراء المشركين وكذبهم؛ لأنهم لم يكتفوا بادِّعاء نسبة البنين إلى الله تعالى بل أضافوا البنات أيضاً؛ ليتضح مدى قُبح صنيعهم من الكذب والافتراء، وتضمَّن أيضاً التنبيه على ضلالِ مَن ضَلَّ في وصْفِهِ تعالَى بِأنَّ لهُ ولَدًا(٥)، وفي الفعل (خَرَقُواْ) "جرسٌ خاصٌّ وظلٌّ خاصٌّ يرسمُ مشهدَ الطلوع بالفرية التي تخرق وتشق! خرقوا له بنين: عند اليهود: عزير. وعند النصارى: المسيح: وخرقوا له بنات، عند المشركين: الملائكة"(٦)، ولم يذكُرُوه عن عِلْم، بل ذكروه تَكذُّباً(٧)، وهذا نابعٌ من ثقافة الجماعة اللغوية داخل البيئة، إذ لها أثرٌ كبير في تكوين

(١) ينظر: نظم الدرر: ٦٨٨/٢.
(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٥٢٦/١.
(٣) روح المعاني، الآلوسي: ٢٢٨/٤.
(٤) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا: ٥٣٩/٧.
(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٠٧/٣.
(٦) في ظلال القرآن: ١١٦٢/٢.
(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابهُ: ٢٧٨/٢.

الاقترانات اللفظية، فـ"ثقافة الجماعة التي تتمثل في معتقدات وأفكار متكلمي اللغة، وعاداتهم وتقاليدهم والظروف والخبرات الحياتية التي تمر بهم تساهم بشكل فعَّال"[1] في هذه الظاهرة.

يظهر لنا مما سبق أنَّ دلالة الفعل الماضي (خرقوا) في الآية الكريمة هي (الافتعال)، أي: افتعال الكذب، ويمكن أن يندرج الفعل الماضي (خرقوا) تحت مظلة الاقترانات اللغوية التي لا يمكن التنبؤ بها، فلا وجود لها في الكم المخزن في عقل الجماعة اللغوية، فلا يُعد الفعل من الاقتران المُعتاد، أما دلالة الاقتران هنا فهي (القُبْحُ)، أي: قُبْحِ صنيعهم من الافتراء والادعاء الباطل في نسبة الأَولاد إليه، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

(١) التعبير الاصطلاحي، كريم زكي حسام الدين: ١١٩.

الخاتمة

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، لعلَّ أهمها:

١ـ إنَّ مصطلح (الأضداد) أطلقهُ اللغويون العرب على الألفاظ التي تنصرف إلى معنيين متضادين، وعليه فإنَّ الأضداد اللفظية التي تتقابل فيها المعاني من دون أنْ يتحد فيها اللفظ كالليل والنهار، والطول والقصر، والحياة والموت، لا تعدُّ من الأضداد عندهم بهذا المصطلح.

٢. إنَّ الأفعال في النص القرآني قد تتفرع عنها ظلال كثيرة للمعنى، وتتسع تأويلاتها في نفوس السامعين، وتظهر خصوصية الاستعمال القرآني في أنها لا تقود المتلقي إلى الغرض مباشرة وإنما عن طريق التأمل والاستنباط، وكلما كانت إيحائية اللفظة عالية، كانت قيمة تلك اللفظة من الناحية الدلالية عالية أيضا.

٣. ظهور تنوُّع الدلالة الناشئة عن اقتران الأفعال بألفاظ التضاد، ولعلَّ ذلك يعود إلى السياق؛ كونهُ مستوىً من مستويات التحليل اللغوي، وخاصة في النص القرآني الذي تتعدد عندهُ الوجوه بتعدد سياقاته.

٤ـ يُسهم اقتران الأفعال بالثنائيات الضدية في الكشف عن المعاني الدقيقة، فضلًا عن شد المتلقي، وإيضاح الأشياء والصفات، وزيادة الكلام حسنًا وجمالًا ورونقًا، نحو قوله تعالى: ((وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً))، أي أنَّ جميعَ الخلق قد بُثَّ ونُشِرَ منهما، والاقتران أيضًا خصيصة من خصائص معاني الألفاظ العربية.

٥. لحروف المعاني حضورٌ في تركيب الجملة الاقترانية، إذ أوضح البحث عن وجود مناسبة بين دلالة الفعل وحرف الجر؛ وذلك لكي يتحقق معنى المراد والمطلوب، نحو قوله تعالى: ((حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))، وقد دلَّ التركيب (حبط ، في) على البطلان والفساد وزمنهِ؛ وأفادت (في) الظرفية الزمانية، وهي ظرفٌ للحبوط لا للأعمال، والخطاب في الآية الكريمة لليهود.

٦. إنَّ اللفظين (مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) من ألفاظ التضاد اللذين لا يمكن أن يجتمعا، لكنَّ الأمر هُنا مختلفٌ؛ لوجود فعلٍ يقترن بهما، فالنبي مُكلَّفٌ بالبشارة والنذارة معاً، إذ قال تعالى: ((فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ))، وذلك في سياق بيان وظيفة الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام) الأساسية، مبشرين بالثواب على الطاعات، ومنذرين بالعقاب على المعاصي والذنوب.

٧ـ بينَّ البحث في التمهيد أهمية التضاد إذ يُعدُّ نوعًا من العلاقة بين الألفاظ، والمعاني محمولةٌ فيها، فمجرد ذكر لفظ بمعنى معين، يثير الذهن إلى معنى مضاد، بل إنَّ الضد أساس تعريف المعنى، ولذلك قالت العرب قديما: وبضدها تُعرفُ الأشياءُ، فعلاقة الضدية أكثر إيضاحا للمعاني.

ثبت المصادر

أولًا: الكتب المطبوعة:

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي (ت٨٩٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- الأشباه والنظائر في النحو، أبو بكر عبد الرحمن المعروف بجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبد الإله نبهان، وإبراهيم محمد عبد الله، وأحمد مختار الشريف، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (٣٥١هـ)، تحقيق: الدكتور عزة حسن، المجمع العلمي العربي، دمشق - سوريا، ط٢، ١٩٩٦م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، إيران، ط١، ١٤١٣هـ .
- البحر المحيط في التفسير، أثير الدين محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، وعلي هلالي، وعبد الكريم الغرباوي، وعبد الحليم الطحاوي، ومصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، (د.ط)، ١٩٧٨م.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المُسمى بـ (التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر ـ تونس، (د.ط)،١٩٨٤م.
- التعبير الاصطلاحي (دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية)، كريم زكي حُسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٠٥م.
- التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمَّار، عُمَّان، الأردن، ط٤، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- التعريفات، أبو الحسين علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ: ١٣٩.

- التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ط)،١٣٨٣هـ.
- تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي بن رضا (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.
- التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٠م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١، ٢٠٠١م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيْمة (ت١٤٠٤هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- دلالة الألفاظ، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٨٤م.

- ديوان ذي الرمة، قدَّم له وشرحهُ: أحمد حسن بَسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- ديوان زُهير بن أبي سَلمَى، شرحهُ وقدَّمَ لهُ: الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م.
- ديوان عمرو بن كلثوم، جمعهُ وحققهُ وشرحهُ: الدكتور اِميل بديع يعقوب، دار الكِتَاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ . ١٩٩١م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد عبد النور المالقي (ت٧٠٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- الزوائد في الصيغ في اللغة العربية . في الأفعال .، زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٤م.
- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد بن أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٢هـ .١٩٨٢م.
- شرح المفصل، أبو البقاء موفق الدين بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
- شعر عمرو بن شأس الأسدي، الدكتور يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.
- الصبغ البديعي في اللغة العربية، أحمد إبراهيم موسى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، ١٣٨٨هـ . ١٩٦٩م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٥٦م.
- الصيغ الثلاثية (مجردة ومزيدة اشتقاقًا ودلالةً)، الدكتور ناصر حسين علي، المطبعة التعاونية، دمشق، (د.ط)، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

- ظاهرة الاستغناء في قضايا النحو والصرف، زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط)، ١٩٩٦م.
- العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي (دراسة تطبيقية)، عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة الإشعاع، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٩م.
- علم الدلالة بين النَّظَرِ والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
- علم الدلالة، جون لاينز، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، مديرية دار الكتب، جامعة البصرة، (د.ط)، ١٩٨٠م.
- علم الدلالة "دراسة نظرية وتطبيقية"، فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٩٨م.
- علم الدلالة، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.
- علم الدلالة (علم المعنى)، الدكتور محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عُمَّان ـ الأردن، ط١، ٢٠٠١م.
- علم الدلالة، فرانك بالمر، ترمجة مجيد عبد الحليم الماشطة، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، جمهورية العراق، (د.ط)، ١٩٨٥م.
- علم الدلالة، كلود جرمان، وريمون لويلون، ترجمة: نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ـ ليبيا، ط١، ١٩٩٧م.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م.
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١،١٤١٤هـ.

- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، (د.ط)، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
- فعلت وأفعلت، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، حقَّقهُ وقدَّم له وعلَّقَ عليه: الدكتور رمضان عبد التواب، والدكتور صبيح التميمي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- فقه اللغة وسرُّ العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٢٢م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق ـ القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ هـ.
- في علم الدلالة، الدكتور محمد سعد محمد، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.
- في اللهجات العربية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥م.
- القاموس المحيط، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥ م.
- القرآن الكريم وتفاعل المعاني (دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثرهُ في المعنى في القرآن الكريم، الدكتور محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- اللامات، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

- اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي (ت٤١٥هـ)، تحقيق: عبد الكريم بن صنيتان العمري، دار البخاري، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٦هـ.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر، ط٣، (د.ت).
- المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري (ت٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١، ١٩٨١م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى التيميّ (ت٢١١هـ)، عارضه بأصوله وعلّق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٣٧٤هـ ـ١٩٥٤م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، (د.ط)، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٨٥هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- مدخل إلى علم الدلالة، فرانك بالمر، ترجمة: خالد جمعة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط١، ١٩٩٧م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١٤١٧،٤ هـ ـ ١٩٩٧م.
- معاني القراءات، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

- معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، (د.ت).
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ـ بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.
- معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ.٢٠٠٠م.
- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم (لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة المعنى والصيغ والأساليب المتشابهة)، الدكتور محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- مفردات ألفاظ القران، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت٧٠٧هـ)، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- الممتع في التصريف، ابن عصور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوَه، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣ هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (د.ط)، د.ت).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو بكر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

❖ النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

ثانيا: الدوريات:

❖ التداخل الدلالي بين مصطلحات (التقابل) و(التضاد) و(الأضداد) في الدراسات اللغوية "دراسة دلالية وصفية"، ناصر بن عبد العزيز الهذيلي، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مج ١٥، ع ١١٠، سنة ٢٠١٨م.